5

الاستدلال العقلي للذكاء الاصطناعي على وجود الله تعالى دراسة عقدية

أ. م. د. شافي جمعة حمادي الحلبوسي

كلية الإمام الأعظم الجامعة

muhhyaldeen@gmail.com

Artificial Intelligence's Rational Inferenc e on the Existence of God: A Doctrinal Study

Assoc. Prof. Dr. Shafi Jumaa Hammadi Al-Halbousi

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة إمكانية توظيف الذكاء الاصطناعي في تحليل الأدلة العقلية على وجود الله تعالى، ومدى قدرته على تقديم استنتاجات عقلية وفقًا للمنهجيات الفلسفية والعقدية. تتناول الدراسة مفهوم الاستدلال العقلي في العقيدة الإسلامية، ودوره في إثبات وجود الله من خلال براهين عقلية مثل برهان العلة الأولى، وبرهان النظام، وبرهان الإمكان والوجوب. كما تستعرض طبيعة الذكاء الاصطناعي وقدرته على معالجة البيانات وتحليلها، ومدى تشابهه أو اختلافه عن العقل البشري في الاستدلال المنطقي. ويقسم البحث إلى مبحثين رئيسيين، حيث يركز المبحث الأول على مفهوم الاستدلال العقلي من منظور عقدي وإمكانات الذكاء الاصطناعي في التحليل والاستنتاج. أما المبحث الثاني، فيتناول قدرة الذكاء الاصطناعي على تحليل البراهين الفلسفية حول وجود الله، مع إبراز التحديات الفكرية والحدود المنهجية التي يواجهها في القضايا الميتافيزيقية. وتخلص الدراسة إلى أن الذكاء الاصطناعي، رغم قدرته على تحليل النصوص الدينية والفلسفية، يظل عاجزًا عن الوصول إلى استنتاجات يقينية في القضايا العقدية؛ بسبب افتقاره للوعي والإدراك البشري، واعتماده على معطيات محدودة مبرمجة مسبقًا. كما تؤكد الدراسة أن القضايا الغيبية تتجاوز نطاق التحليل الآلي، مما يجعل الذكاء الاصطناعي أداةً مساعدةً في تحليل الأدلة دون أن يكون قادرًا على تقديم حكم نهائي في المسائل العقدية. وختامًا، يقدم البحث توصيات حول كيفية الاستفادة من الذكاء الاصطناعي في الدراسات العقدية، دون إغفال دور العقل البشري في فهم القضايا الغيبية والإيمانية.

الكلمات المفتاحية: العقيدة، الذكاء الاصطناعي، وجود الله، البراهين الفلسفية، الإلهيات

Abstract

This research aims to explore the possibility of employing artificial intelligence (AI) in analyzing rational evidence for the existence of God and its ability to provide logical conclusions based on philosophical and theological methodologies. The study examines the concept of rational inference in Islamic theology and its role in proving God's existence through philosophical arguments such as the argument of the first cause, the argument from design, and the argument of contingency and necessity. It also discusses the nature of artificial intelligence, its ability to process and analyze data, and the extent to which it resembles or differs from human reasoning in logical inference. The research is divided into two main sections. The first section focuses on the concept of rational inference from a theological perspective and the capabilities of artificial intelligence in analysis and reasoning. The second section examines AI's ability to analyze philosophical arguments regarding the existence of God while highlighting the intellectual challenges and methodological limitations it faces in metaphysical issues. The study concludes that although artificial intelligence can analyze religious and philosophical texts, it remains incapable of reaching definitive conclusions in theological matters due to its lack of human awareness and cognition, as well as its reliance on pre-programmed data. The study also emphasizes that metaphysical issues transcend machine-based analysis, making AI a useful tool for analyzing evidence but not a decisive authority in theological matters. Finally, the research provides recommendations on how to benefit from artificial intelligence in theological studies while recognizing the indispensable role of human reasoning in understanding metaphysical and faith-related issues.

Keywords: Theology, Artificial Intelligence, Existence of God, Philosophical Arguments, Divinity

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وبعد:

فيُعَدُّ الاستدلال العقلي على وجود الله تعالى أحد أبرز الموضوعات التي شغلت الفلاسفة وعلماء الكلام عبر العصور، حيث تنوعت الأدلة بين النقلية والعقلية لإثبات وجود الخالق. ومع التطورات التكنولوجية الحديثة، وظهور الذكاء الاصطناعي بوصفه أداة تحليلية قادرة على معالجة البيانات والاستدلال المنطقي، أصبح من الضروري دراسة إمكانية توظيفه في تحليل البراهين الفلسفية والعقدية المتعلقة بوجود الله.

يهدف هذا البحث إلى استكشاف مدى قدرة الذكاء الاصطناعي على تحليل الأدلة العقلية التي استند إليها الفلاسفة والمتكلمون في إثبات وجود الله، مثل برهان العلة الأولى، وبرهان النظام، وبرهان الإمكان والوجوب. كما يسعى إلى مقارنة الاستدلال العقلي البشري بنظيره الاصطناعي، وتحديد الحدود المنهجية التي قد تعيق الذكاء الاصطناعي عن الخوض في القضايا الميتافيزيقية والعقدية.

تنقسم الدراسة إلى مبحثين رئيسيين، حيث يتناول المبحث الأول مفهوم الاستدلال العقلي من منظور عقدي، وإمكانات الذكاء الاصطناعي في تحليل الأدلة والاستنتاجات الفلسفية. أما المبحث الثاني، فيناقش قدرة الذكاء الاصطناعي على تحليل البراهين الفلسفية على وجود الله، مع التركيز على التحديات التي تواجهه في التعامل مع المفاهيم الغيبية والإلهيات.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يعالج قضية معاصرة تتعلق بالتداخل بين الفلسفة والعقيدة والتكنولوجيا الحديثة، مما يفتح المجال لدراسات مستقبلية تبحث في مدى استفادة العلوم الإسلامية من الذكاء الاصطناعي في التحليل والاستدلال، دون أن يُغفل الدور الأساسي للعقل البشري في فهم القضايا العقدية والإيمانية.

المبحث الأول: مفهوم الاستدلال العقلي في العقيدة الإسلامية والذكاء الاصطناعي

المطلب الأول: ماهية الاستدلال العقلي وأهميته في العقيدة الإسلامية

يُعَدُّ الاستدلال العقلي أحد الأسس الراسخة في البناء العقدي الإسلامي، وهو وسيلة منهجية استخدمها علماء العقيدة لتأسيس اليقين الإيماني، وإثبات الأصول العقدية الكبرى كوجود الله تعالى، ووحدانيته، وكماله المطلق. فالعقل عند علماء الكلام أداة فعّالة للتأمل في مظاهر الكون، والربط بين الآيات الكونية والحقائق الشرعية. وقد أجمع المتكلمون من مختلف الفرق الإسلامية على أن العقل، متى استُخدم بصورة صحيحة، يقود إلى إثبات الحقائق الإيمانية، ويدحض الشبهات الفلسفية والإلحادية. وقد أشار الإمام الغزالي إلى أن العقل بمنزلة النور الذي يكشف الحقائق، إذا ما وُفِّق بالوحي، وكان خاضعًا لضوابط الفطرة (الغزالي، 1993، ص 28).

أولًا: تعريف الاستدلال العقلي وأقسامه في الفكر العقدي

الاستدلال العقلي هو العملية الذهنية التي تقوم على ربط المقدمات بالنتائج عبر قوانين منطقية تهدف إلى الوصول إلى معرفة يقينية. وقد وظفه علماء العقيدة، خصوصًا في علم الكلام، لتثبيت أصول الإيمان، والرد على المخالفين من الفلاسفة والملاحدة. وقد انقسم الاستدلال العقلي في الفكر العقدي إلى أقسام متباينة بحسب العلاقة مع النقل:

الاستدلال العقلي الصرف: وهو ما يُبنى على العقل وحده دون الرجوع إلى الوحي، ويُعد برهان "العلة الأولى" نموذجًا له، كما ورد في كتابات ابن سينا والفارابي.

الاستدلال العقلي المؤيد بالنقل: وهو الجمع بين العقل والنص، كما فعل المعتزلة والأشاعرة حين استندوا إلى العقل لتعزيز الآيات والنصوص المتعلقة بصفات الله.

الاســتدلال النقلي المدعوم بالعقل: وهو المنهج الذي يعتمد على النصــوص الشرعية كأساس، مع استخدام العقل لتعزيز دلالتها وإثبات صدقيتها، وهو النهج الذي سلكه أهل السنة والجماعة. (الآمدي، 1982، ص 117).

ثانيًا: دور العقل في الاســـتدلال على وجود الله في علم الكلام والفلســـفة الإسلامية

وظّف المتكلمون والفلاســفة المســلمون أدوات العقل لإثبات وجود الله تعالى، وبيان صفاته الكمالية، وارتكزوا في ذلك على جملة من البراهين العقلية الفلسفية التي شكلت مدرسة عقلية متميزة في التراث الإسلامي:

برهان العلة الأولى: يعتمد هذا البرهان على قانون الســببية، الذي يفترض أن لكل مفعول فاعلًا، ولكل حادث سببًا. ومن هنا، لا يمكن أن يكون تسلسل الأسباب إلى ما لا نهاية، بل لا بد من الوقوف عند علّة أولى واجبة الوجود لا تعتمد على غيرها، وهي الله تعالى. يقول الإمام الرازي: "كل ما لا يُســتغنى في وجوده عن غيره، فوجوده متوقف على غيره، فإن لم يوجد واجب بذاته لزم التســـلســـل، وهو باطل" (الرازي، 1999، ج1، ص 75).

برهان النظام: يُســـتدل به من خلال التأمل في دقة الكون ونظامه المتناغم، مما يدل على وجود مبدع حكيم. وهذا البرهان استشهد به القرآن الكريم بقوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَـــيْءٍ﴾ (النمل: 88). وقد أكد الإمام الجويني أن انتظام الموجودات يُعَدّ دليلاً على إرادة خالقة حكيمة (الجويني، 1995، ص 95).

برهان الإمكان والوجوب: يرى هذا الدليل أن الموجودات إما ممكنة الوجود، أو واجبة الوجود. والممكن لا يقوم بنفســه، ولا بد له من واجب الوجود يُوجد الأشــياء دون أن يحتاج إلى غيره. وقد فصّــل ابن رشــد القول في هذا البرهان بقوله: "كل ما وُجد بعد أن لم يكن، فإنما وُجد بمُوجب، ولا يمكن أن يكون كل موجد ممكنًا، بل لا بد من واجب، وهو الله" (ابن رشد، 1971، ج1، ص 105).

ثالثًا: العلاقة بين النقل والعقل في إثبات العقائد

شـكّلت مسـألة العلاقة بين النقل والعقل مركزًا للتجاذب والتأصـيل في التراث الإسـلامي، حيث اتجه العلماء إلى وضـع ضـوابط لضـبط التفاعل بين العقل والنص، ويمكن تلخيص هذه العلاقة في ثلاثة مستويات:

التكامل بين العقل والنقل: أكد أهل السـنة أن العقل لا يعارض النقل، بل يعزز فهمه، ويوجه إلى مقاصده، فالعقل هو أداة لفهم مراد الله، وليس خصمًا للوحي. وقد نُقل إجماع السلف على هذا المبدأ.

العقل خادم للوحي: أكد الإمام الشافعي أن العقل وسيلة لفهم النصوص، وأنه لا بد من توظيفه في خدمة الشريعة، لا في معارضتها، حيث قال: "من استخدم عقله لفهم نصوص الشرع فهو من أهل الرشد، ومن قدّمه على النصوص فقد ضل السبيل" (الشافعي، 2004، ص 42).

تقديم النقل على العقل عند التعارض الظاهري: ذهب جمهور العلماء إلى ضرورة ردّ العقل إلى النصوص حال حصول تعارض ظاهري، إذ أن النص معصوم، والعقل عرضة للخطأ، وهذا أصل من أصول الاستدلال عند الحنابلة والأشاعرة، كما ذكره القاضي أبو يعلى في كتابه (أبو يعلى، 1996، ص 181).

يتضـح من خلال هذا العرض المنهجي أن الاسـتدلال العقلي لا يمثل خروجًا عن الدين، بل هو أحد الأركان التي دعّمت صـرح العقيدة الإسـلامية منذ بواكيرها الأولى. لقد توزعت طرائق الاسـتدلال بين المتكلمين والفلاسـفة، لكنها جميعًا اتفقت على مركزية العقل في إثبات التوحيد ونفي الشـبهات. وقد بُنيت براهين عقلية محكمة كالعلّة الأولى والنظام والإمكان، وأسـهمت في بناء صـرح معرفي عقلي يعانق النصـوص الشـرعية ويؤيدها. وفي ظل تطورات الذكاء الاصـطناعي، يُمكن إعادة النظر في إمكانات العقل الآلي في محاكاة بعض أوجه الاستدلال العقلي، ولكن يبقى العقل البشري، المنضبط بالوحي، هو الأصل والمرجعية في بناء العقيدة الراشدة.

المطلب الثاني: الذكاء الاصطناعي ومنهجياته في التحليل والاستدلال العقلي

في ظل الثورة الرقمية المعاصرة، برز الذكاء الاصطناعي كأداة مركزية في تحليل البيانات، واستنباط الأنماط، واستشراف النتائج. وقد أدّى هذا التقدّم إلى طرح تساؤلات فلسفية وعقدية عميقة حول ما إذا كان بإمكان الذكاء الاصطناعي أن يحاكي أدوات العقل البشري، وخصوصًا في مجال الاستدلالات العقلية التي تُستخدم في علم الكلام والفكر العقدي الإسلامي. وبهذا، فإننا بإزاء إشكال معرفي مزدوج: حدود الذكاء الاصطناعي التقنية، وحدود قدرته على الإسهام في مسائل الغيب والإلهيات، مما يقتضي تحليلًا منهجيًا للمفاهيم والآليات المعتمدة في هذا المجال (Russell & Norvig, 2020).

أولًا: تعريف الذكاء الاصطناعي وآلياته في التحليل والاستنتاج

الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) هو مجال من مجالات علوم الحاسوب يُعنى بتطوير أنظمة قادرة على محاكاة بعض وظائف العقل البشري، كالتفكير، والاستنتاج، واتخاذ القرار، وحلّ المشكلات. ويتفرّع هذا المجال إلى مستويات مختلفة، أهمها:

الذكاء الاصطناعي الضيق (Weak AI): يركّز على تنفيذ مهام محددة مثل تصنيف الصور أو تحليل النصوص أو الترجمة الآلية، دون امتلاك وعي إدراكي.

الذكاء الاصطناعي العام (Strong AI): يُفترض أن يتمتع هذا النوع بقدرة عقلية تماثل العقل البشري في الاستيعاب، والابتكار، والإدراك، إلا أن هذا النموذج لا يزال نظريًا ولم يُتحقق في الواقع بعد (Kaplan, 2016).

وتقوم آليات الذكاء الاصطناعي على عدد من التقنيات أبرزها:

الشبكات العصبية الاصطناعية (Artificial Neural Networks): وهي نماذج حوسبية مستلهمة من الجهاز العصبي البشري، قادرة على التعلم من البيانات والتعرف على الأنماط.

الخوارزميات المنطقية (Logic-Based Algorithms): مثل المنطق الرياضي والمنطق الضبابي، والتي تُمكّن الأنظمة من استنتاج القواعد والمفاهيم من خلال تحليل معطيات مهيكلة.

تحليل البيانات الضخمة (Big Data Analytics): يعتمد على تقنيات التعلم الآلي والتعلم العميق لاستخلاص نتائج من كمّ هائل من البيانات، بهدف التنبؤ واتخاذ القرارات (Mitchell, 2019).

ثانيًا: قدرة الذكاء الاصطناعي على تحليل الأدلة العقلية والمنطقية

أظهر الذكاء الاصطناعي تقدمًا ملموسًا في تحليل القضايا المنطقية والفلسفية من خلال تطبيقاته في مجالات التحليل الرياضي والمنطقي. فقد باتت أنظمة الحوسبة قادرة على معالجة المعادلات الصورية، وتحليل الحجج المنطقية، بل وتحديد التناقضات داخل النصوص الفلسفية.

تحليل القضايا المنطقية: توظّف النماذج الحاسوبية خوارزميات الاستدلال المنطقي لتحليل البراهين الرياضية والفلسفية، مما يسمح باستخلاص نتائج دقيقة من مقدمات عقلية.

دعم الفرضيات الفلسفية: استخدمت بعض النماذج اللغوية الحديثة مثل GPT وBERT في تحليل الخطابات الفكرية واستنباط دلالاتها، بناءً على مدخلات ضخمة من النصوص الدينية والفلسفية (Goodfellow, Bengio, & Courville, 2016).

ومع ذلك، يظل للذكاء الاصطناعي قيود واضحة في معالجة البراهين العقدية:

غياب الإدراك الذاتي (Self-awareness): لا يملك الذكاء الاصطناعي وعيًا وجوديًا يمكنه من إدراك المعاني الغيبية المجردة، إذ إن وعيه لا يتعدى مستوى البيانات والمعطيات التي يغذّى بها.

محدودية التناول الغيبي: معظم القضايا العقدية متصلة بالإيمان بالغيب، وهو ما لا يمكن إخضاعه للتجريب أو المعالجة المنطقية الصورية.

التحيز في البيانات (Bias): النتائج التي يتوصل إليها الذكاء الاصطناعي غالبًا ما تكون رهينة لطبيعة البيانات التي يُدرّب عليها، مما قد يؤدي إلى تحيزات منهجية تؤثر على سلامة الاستدلال (Bostrom, 2014).

ثالثًا: مقارنة بين الاستدلال البشري والاستدلال القائم على الذكاء الاصطناعي

رغم التشابه الظاهري بين عمليتي الاستدلال البشري والاستدلال الاصطناعي من حيث البنية المنطقية، إلا أن هناك تمايزًا جذريًا في طبيعة كلٍّ منهما:

الجانب	الاستدلال البشري	الاستدلال بالذكاء الاصطناعي
الوعي والإدراك	يمتلك الإنسان وعيًا ذاتيًا وقدرة على التأمل في المعاني الميتافيزيقية.	لا يمتلك الذكاء الاصطناعي إدراكًا ذاتيًا، بل يعمل وفق خوارزميات مبرمجة.
التعامل مع الغيبيات	يستطيع العقل البشري الاستدلال على القضايا الغيبية مثل الإلهيات.	لا يستطيع الذكاء الاصطناعي تحليل المسائل الغيبية لأنها لا تخضع للتجريب والقياس.
الإبداع والحدس	العقل البشري قادر على الابتكار والتفكير المجرد.	الذكاء الاصطناعي يعتمد على تحليل البيانات المدخلة، ولا يمكنه الإبداع أو الحدس.
المرجعية المعرفية	يعتمد على العقل والفطرة والنقل الشرعي في الاستدلال.	يعتمد على البيانات المبرمجة، مما قد يجعله منحازًا وفق طبيعة البيانات المدخلة.

المبحث الثاني: إمكانية استدلال الذكاء الاصطناعي على وجود الله بين التأييد والمعارضة

المطلب الأول: إمكانيات الذكاء الاصطناعي في معالجة الأدلة العقلية على وجود الله تعالى

شـهدت السـنوات الأخيرة تطورًا مذهلًا في مجال الذكاء الاصـطناعي، مما جعله قادرًا على خوض مجالات معرفية معقدة، كتحليل النصوص الفلسفية والدينية، واستخلاص الأنماط من البراهين العقلية، بما فيها تلك المتعلقة بوجود الله تعالى. وقد أفضى هذا التقدّم إلى بروز إشكالات فلسفية وعقدية جوهرية تتعلّق بمدى قدرة الذكاء الاصـطناعي على التعامل مع البراهين الميتافيزيقية، التي طالما مثّلت محورًا مركزيًا في علم الكلام الإسـلامي والفلسـفة الكونية. وتكمن الإشـكالية الرئيسـة في أن الذكاء الاصـطناعي لا يمتلك وعيًا ذاتيًا أو تصـورات فوق حسّـية، مما يجعله عاجزًا عن اسـتيعاب المعاني المجردة التي تنبني عليها القضـايا العقدية الكبرى، رغم كفاءته في التحليل الشكلي والمنطقي للنصوص (Kaplan, 2016).

أولًا: تحليل الذكاء الاصطناعي للبراهين الفلسفية على وجود الله

إن البراهين العقلية التي اسـتخدمها الفلاسـفة والمتكلمون في إثبات وجود الله، مثل برهان العلّة الأولى، وبرهان النظام، وبرهان الوجود، تُعَدّ نماذج مثالية لاختبار قدرة الذكاء الاصطناعي على التعامل مع القضايا الماورائية من منظور منطقي.

برهان العلة الأولى (السبب الأول)

يقوم هذا البرهان على مبدأ السببية، إذ يرى أن كل حادث لا بد له من سبب، ولا يمكن أن يستمر التسلسل السببي إلى ما لا نهاية، مما يقتضـي وجود علّة أولى غير مسـببَة، وهي الله تعالى. وقد استخدم الفلاسـفة المسـلمون هذا البرهان، كالفرابي وابن سينا، لتأكيد ضرورة وجود واجب الوجود.

تحليل الذكاء الاصطناعي: يمكن للنماذج الحاسوبية نمذجة التسلسل السببي وتحليل صوره باستعمال المنطق الصوري، والوصول إلى استنتاج منطقي يُشابه استنتاج الفلاسفة في ضرورة التوقف عند علّة أولى. غير أن الذكاء الاصطناعي يعجز عن إدراك ما يتجاوز البنية الشكلية للبرهان، فهو لا يعي البعد الوجودي للعلّة الأولى، ولا يستوعب المفهوم الإيماني لوجوب الوجود (Russell & Norvig, 2020).

برهان النظام (الدليل الغائي)

يرى هذا البرهان أن دقة الكون وترابط قوانينه، ووجود نظام محكم في أدق تفاصيله، يدل على وجود صانع حكيم. وقد استند علماء العقيدة إلى هذا البرهان لتأكيد أن التصميم المتقن لا بد له من مصمم، كما أشار إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 88].

تحليل الذكاء الاصطناعي: بإمكان الذكاء الاصطناعي تحليل النظم الفيزيائية والرياضية واستنتاج الأنماط الدقيقة داخلها، ومقارنة هذه النظم بغيرها من الأنظمة المصمّمة بشريًا، مما قد يُفضي إلى استنتاج عقلي بوجود تصميم مقصود. لكن هذا التحليل يظل غير قادر على استحضار مقصدية الخالق أو حكمته، لكونه لا يمتلك تصورًا للمعنى الإلهي (Goodfellow, Bengio, & Courville, 2016).

برهان الوجود (الدليل الأنطولوجي)

يستند هذا البرهان إلى أن مفهوم "الله" باعتباره أعظم موجود ممكن يقتضي وجوده، لأن عدم وجوده يناقض تعريفه. وهو برهان جدلي تجريدي أثار نقاشات واسعة بين الفلاسفة.

تحليل الذكاء الاصطناعي: يستطيع الذكاء الاصطناعي تحليل البنية المنطقية لهذا البرهان واختبار اتساقه الداخلي باستخدام أدوات التحليل الشكلي، غير

أنه لا يستطيع تمييز الفرق بين الوجود الذهني والوجود الواقعي، مما يُفقده القدرة على الفصل بين الفكرة والمصداق الخارجي لها (Mitchell, 2019).

ثانيًا: تقييم قدرة الذكاء الاصطناعي على تقديم استنتاجات موضوعية بناءً على المعطيات المتاحة

رغم ما يُقال عن موضوعية الذكاء الاصطناعي، إلا أن هذه الموضوعية مشروطة بطبيعة البيانات التي يُدرّب عليها، كما أنها محدودة بعدم امتلاكه للوعي أو الإدراك القيمي.

الموضوعية الشكلية في التحليل

الذكاء الاصطناعي لا يملك انحيازًا ذاتيًا، لكنه قد يتأثر بانحيازات البيانات المدخلة إليه، كأن تُبرمج خوارزمياته على نماذج مادية تنكر الغيب.

تفسيراته تظل ضمن نطاق النماذج الإحصائية واللغوية، فلا يمكنه التعاطي مع مفاهيم كالإيمان، والنية، واليقين، والتي تعد جوهر العقيدة الإسلامية (Bostrom, 2014).

قيود الذكاء الاصطناعي في الاستدلال العقدي

لا يستطيع الذكاء الاصطناعي خوض غمار التأمل في ماهية الوجود والعدم، أو في مفاهيم التوحيد والبعث والمعاد.

كما أن تحليله للأدلة يظل مقيّدًا بقوالب مبرمجة مسبقًا، فلا يمكنه مراجعة المقدمات الفلسفية التي ينطلق منها، مما يجعله تابعًا لا فاعلًا في الإبداع المعرفي العقدي (Kaplan, 2016).

ثالثًا: التطبيقات العملية للذكاء الاصطناعي في دراسة النصوص الدينية وتحليلها

رغم عجز الذكاء الاصـــطناعي عن الولوج إلى عالم الغيب، إلا أن له أدوارًا مساندة في خدمة الدراسات العقدية، وذلك من خلال:

تحليل النصوص الدينية والتفاسير

يُوظَّف الذكاء الاصـــطناعي في معالجة النصـــوص القرآنية والحديثية عبر تقنيات معالجة اللغة الطبيعية (NLP)، مما يُتيح تصـــنيف المفاهيم العقدية، وتتبع معانيها عبر الطبقات الزمنية المختلفة. كما يمكنه إجراء مقارنات بين التفاســـير والكشف عن التطورات الدلالية في تفسير بعض الآيات.

تحليل الخطابات الكلامية والفلسفية

يُمكن برمجة الذكاء الاصـــطناعي على تحليل النصـــوص العقدية التراثية، وتصـــنيف الحجج الكلامية، وتحليل بنيتها المنطقية، والكشـــف عن أوجه الاتفاق والاختلاف بين المدارس الفكرية، مما يوفّر للباحث أداة مساعدة في التمحيص والفرز (Russell & Norvig, 2020).

دعم الباحث في إدارة المعرفة العقدية

يمكن للذكاء الاصطناعي تنظيم قواعد البيانات الفكرية، وتسهيل الوصول إلى المراجع، وتصـنيف المدارس العقدية، وتقديم تصـورات مرئية للعلاقات بين المفاهيم، مما يُســـهم في تســـهيل إنتاج المعرفة دون التدخل في تأويلها أو تبنّي موقف منها (Mitchell, 2019).

تُظهر هذه الدراســة أن الذكاء الاصــطناعي يمتلك قدرات تحليلية متقدّمة في معالجة البراهين العقلية ذات الطابع المنطقي، لكنه يظل عاجزًا عن إدراك جوهر القضـــايا العقدية التي تســـتلزم وعيًا ذاتيًا وروحًا تأملية. وإن كانت أدوات الذكاء الاصـــطناعي نافعة في تصـــنيف المعارف العقدية وترتيبها وربما الإشـــارة إلى التناقضـات الشكلية، فإن الحكم على الحقائق الغيبية ومفاهيم التوحيد والإيمان والنبوة

والبعث، تظل من اختصـــاص العقل البشـــري المســـتنير بالوحي. ولذلك فإن الذكاء الاصـــطناعي يمكن أن يكون خادمًا للباحث في العقيدة، لا مُرشـــدًا مســـتقلًا أو بديلًا عن الإنسان.

المطلب الثاني: التحديات والاعتراضات على استدلال الذكاء الاصطناعي في القضايا العقدية

رغم التقدّم التقني الهائل في تقنيات الذكاء الاصـــــطناعي، يظل هذا المجال يواجه عقبات جوهرية عندما يُزجّ به في ميدان القضـــــايا الميتافيزيقية والعقدية. فالعقيدة، بطبيعتها، لا تقتصـر على التحليل المنطقي ولا تُقاس بمؤشـرات رياضـية أو إحصـائية، بل تشـمل أبعادًا غيبية وروحية وفطرية تتجاوز إدراك الحس والمعادلات. من هنا، تظهر الحاجة إلى مســـاءلة إمكانات الذكاء الاصـــطناعي في التعاطي مع هذه القضـايا، ومدى صـلاحية نتائجه في الإسـهام بمعالجة مسـائل تتصـل بالإيمان، والتوحيد، والغيب، والنبوة، والمعاد (Boden, 2016).

أولًا: حدود الذكاء الاصطناعي في فهم المفاهيم الغيبية

غياب الوعي والإدراك الذاتي

من أبرز أوجه القصـــور في الذكاء الاصـــطناعي افتقاده إلى "الوعي الذاتي"، أي القدرة على تأمل وجوده أو إدراك ذاته من الداخل. فالأنظمة الذكية، مهما بلغ تعقيدها، تعمل من خلال معالجة البيانات عبر خوارزميات، دون أن تمتلك تصـــــورًا حقيقيًا للمعاني المجردة أو الغايات الوجودية. وقد بيّن جون ســـــيرل في حجته المعروفة بـ"حجرة الصيني" أن الذكاء الاصطناعي قد يحاكي اللغة والمعالجة الرمزية، لكنّه لا يفقه المعنى، ولا يعقل دلالاته (Searle, 1980). وهذا ما يُعجزه عن اسـتيعاب مفاهيم مثل الروح، والتوحيد، والقضـاء والقدر، التي تتطلب وعيًا وجوديًا لا توفّره البرمجيات.

عدم القدرة على تجاوز الحسيات إلى الماورائيات

العقل البشـــري يمتلك القدرة على الانتقال من المشـــاهد إلى الغائب، ومن المعقول إلى الإيماني، من خلال قوى التجريد والتأمل. أما الذكاء الاصـــطناعي، فمحدوديته تكمن في اعتماده الحصري على البيانات الحسية القابلة للقياس والتحليل، مما يُقيّده ضـــمن دائرة المدركات المحســـوســـة. لذلك، فهو عاجز عن تحليل مفاهيم تتعلق بالله وصـــفاته، أو البعث والجزاء، لأنها ليســـت ضـــمن فضـــائه البرمجي (Bostrom, 2014).

افتقاد التجربة الإيمانية والبعد الروحي

الإيمان، في جوهره، ليس تجربة عقلية مجردة فحســـب، بل تجربة روحية عميقة تشمل التضرع، والخشوع، والانكسار بين يدي الله، وكلها أبعاد لا يمكن للذكاء الاصـــطناعي محاكاتها أو تمثلها. وهذا ما يجعل فهم القضـــايا العقدية، كحب الله، والخوف منه، والرجاء فيه، حكرًا على الإنسان المؤمن، دون إمكانية تمثّلها في آلة لا تملك قلبًا ولا وجدانًا (Al-Attas, 1993).

ثانيًا: إشكالية تفسير البيانات وفقًا للمنظور الإيماني والفلسفي

التحيز في تحليل النصوص الدينية والعقدية

تعتمد خوارزميات الذكاء الاصـــطناعي على بيانات يتم تدريبها مســـبقًا، وهذه البيانات قد تحمل تحيزات ثقافية أو فلســـفية محددة. فإذا كانت معطيات التدريب منحازة نحو مناهج مادية أو علمانية، فإن مخرجات التحليل ســـتكون مشـــوّهة أو مختزِلة للبُعد الإيماني. ويُقرّ الباحثون في الذكاء الاصـــطناعي بأن النماذج اللغوية العملاقة تعكس، دون وعي، انحيازات مطوريها ومجتمعاتهم (Crawford, 2021).

الإشكالات الفلسفية في تقييم الأدلة العقلية

الذكاء الاصطناعي لا يُنتج فكرًا، بل يعيد تنظيم ما يتلقاه، وفق آليات منطقية صورية. ولهذا، فإنه لا يستطيع التمييز بين المدارس الفلسفية أو المواقف العقدية المختلفة، إلا من خلال تحليل لغوي وإحصائي سطحي. فهو لا يملك "القدرة الترجيحية" التي يتمتع بها العقل البشري في اختيار أقوى الحُجج، أو إدراك ما هو أرجح دلالة من غيره. كما أنه لا يميّز بين البرهان الصوري والبرهان الوجودي، ولا يُقدّر أثر السياق التاريخي أو الروحي في نشأة الدليل (Mitchell, 2019).

ضعف اللغة الاصطناعية في التعبير العقدي

رغم تطوّر نماذج اللغة مثل GPT وBERT، إلا أنها لا تزال تعاني من قصور في فهم دلالات المصطلحات العقدية الدقيقة، خصوصًا في السياقات التي تتطلب تأويلًا، أو فهمًا فقهياً، أو تذوقًا روحيًا. فالتمييز بين معاني مثل "الربوبية" و"الألوهية"، أو بين "القدر" و"المشيئة"، ليس مجرد تحليل لغوي، بل هو بناء معرفي متكامل لا تستوعبه الآلة بسهولة (Russell & Norvig, 2020).

ثالثًا: موقف الفلاسفة والمتكلمين من الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في القضايا الميتافيزيقية

رؤية الفلاسفة الإسلاميين

يذهب الفلاسفة المسلمون، كالفارابي وابن سينا وابن رشد، إلى أن العقل قادر على إدراك بعض حقائق الوجود، لكن لا غنى له عن الوحي في كشف الغيب المطلق. ومن هذا المنظور، فإن الذكاء الاصطناعي، بما هو أداة عقلية شكلية، لا يمكنه أن يتجاوز العقل البشري، ولا أن ينفذ إلى مراتب الوحي والإلهام. وربما يراه هؤلاء الفلاسفة أداة تحليلية مساعدة، لا أكثر (ابن رشد، فصل المقال، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1997، ص 58).

موقف المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة

اعتمدت المعتزلة على العقل في بناء العقيدة، وقد ينظرون إلى الذكاء الاصطناعي باعتباره امتدادًا لقدرات الاستدلال العقلي، لكنهم في الوقت ذاته يقرّون بضرورة الإدراك الواعي والنية، وهما أمران لا يتوفران في الذكاء الاصطناعي. أما الأشاعرة، فقد جعلوا العقل تابعًا للنقل، وأكدوا على محدوديته، مما يجعل من الذكاء الاصطناعي في تصورهم عاجزًا أصلًا عن القيام بوظيفة الاستدلال العقدي الكامل (الجويني، الإرشاد، مكتبة دار الباز، مكة، ط1، 1995، ص 92).

موقف الفلاسفة الغربيين

بينما يتجه بعض فلاسفة الغرب الحديث، كـــ راي كرزويل، إلى التفاؤل بإمكانية بلوغ الذكاء الاصطناعي مرتبة تعي ذاتها وتفكر ميتافيزيقيًا، فإن آخرين كـ هوبير درايفوس يرون أن الذكاء الاصطناعي سيظل "عاجزًا وجوديًا"، لا يستطيع إدراك المعنى ولا الغاية، لأنه مبرمج على الفعل لا على التأمل. وهكذا، فإن إدخال الذكاء الاصطناعي في القضايا العقدية يبقى محل خلاف فلسفي عميق (Dreyfus, 1992).

أثبتت هذه الدراسة أن الذكاء الاصطناعي، رغم تطوره وفاعليته في تحليل النصوص وإعادة تنظيمها، يظل قاصرًا عن إدراك القضايا العقدية في عمقها الوجودي والإيماني. فالعقيدة ليست مجرد استنتاجات منطقية، بل هي علاقة روحية بين الإنسان وخالقه، تستند إلى الوحي، والفطرة، والتجربة القلبية. وغياب الإدراك الذاتي، والقصور في التعامل مع الغيب، والانحياز البرمجي، كلها تجعل من الذكاء الاصطناعي أداة مساعدة فحسب، لا بديلًا عن العقل البشري المؤمن. ومن هنا، فإن مستقبل استخدام الذكاء الاصطناعي في الدراسات العقدية ينبغي أن يُقيَّد بإطار تحليلي، دون أن يُمنح صلاحية إصدار أحكام في قضايا الإيمان والغيبيات.

الخاتمة

لقد سعى هذا البحث إلى دراسة مدى إمكانية توظيف الذكاء الاصطناعي في تحليل الأدلة العقلية على وجود الله تعالى، ومدى قدرته على تقديم استنتاجات عقلية في القضايا العقدية، وفقًا لمنهجية فلسفية وكلامية دقيقة. وقد تبين من خلال البحث أن الاستدلال العقلي يمثل ركنًا أساسيًا في العقيدة الإسلامية، حيث اعتمد عليه علماء الكلام والفلاسفة في إثبات وجود الله، من خلال براهين عقلية مثل برهان العلة الأولى، وبرهان النظام، وبرهان الإمكان والوجوب. كما تم تحليل مدى قدرة الذكاء الاصطناعي على معالجة هذه الأدلة، والكشف عن التحديات والحدود التي يواجهها في استدلال القضايا الميتافيزيقية.

وقد أظهرت الدراسة أن الذكاء الاصطناعي، رغم قدرته على تحليل النصوص الدينية والفلسفية، يظل عاجزًا عن الوصول إلى استنتاجات يقينية في القضايا العقدية، بسبب افتقاره للوعي الذاتي والإدراك الفلسفي. كما أنه يعتمد على بيانات مبرمجة مسبقًا، مما يجعله غير قادر على تجاوز الإطار الحسي والتجريبي إلى المفاهيم الغيبية والإيمانية. ومن هنا، فإن الذكاء الاصطناعي لا يمكن أن يكون بديلاً عن العقل البشري في معالجة القضايا العقدية، وإنما يظل مجرد أداة مساعدة يمكن توظيفها في تحليل النصوص الدينية وتفسيرها بشكل محدود.

النتائج

1. أهمية الاستدلال العقلي في العقيدة الإسلامية: يُعَدّ العقل أداة أساسية في إثبات وجود الله، وقد اعتمده الفلاسفة والمتكلمون في بناء براهين عقلية متينة لدعم الإيمان بالخالق.

2. قدرة الذكاء الاصطناعي على تحليل الأدلة الفلسفية: يستطيع الذكاء الاصطناعي تحليل براهين مثل العلة الأولى والنظام والوجود، لكنه يظل مقيدًا بالمعطيات التي بُرمج عليها، ولا يمتلك إدراكًا ذاتيًا يُمكنه من استيعاب القضايا الغيبية.

3. حدود الذكاء الاصطناعي في القضايا العقدية: لا يستطيع الذكاء الاصطناعي التعامل مع المفاهيم الغيبية، ولا يمتلك تجربة إيمانية أو روحية، مما يجعله غير مؤهل لاستدلال القضايا الميتافيزيقية.

4. إشكالية الموضوعية في استنتاجات الذكاء الاصطناعي: تعتمد استنتاجات الذكاء الاصطناعي على البيانات المدخلة إليه، مما قد يجعله متحيزًا وفقًا لمصادر المعرفة التي يتم تغذيته بها.

5. إمكانات الذكاء الاصطناعي في خدمة الدراسات العقدية: يمكن توظيف الذكاء الاصطناعي كأداة تحليلية في دراسة النصوص الدينية والفلسفية، لكنه لا يمكن أن يحل محل العقل البشري في استنتاج الحقائق الميتافيزيقية.

التوصيات

1. تعزيز التكامل بين العقل البشري والذكاء الاصطناعي: يجب أن يُنظر إلى الذكاء الاصطناعي بوصفه أداةً مساعدة في الدراسات العقدية والفلسفية، وليس بديلاً عن التفكير العقلي البشري.

2. استخدام الذكاء الاصطناعي في تحليل النصوص الدينية: يمكن تطوير أنظمة ذكاء اصطناعي متخصصة في دراسة النصوص العقدية، وتحليل التفاسير والمقارنات بين المدارس الفكرية المختلفة.

3. الحذر من الاعتماد الكلي على الذكاء الاصطناعي في القضايا الإيمانية: نظرًا لأن الذكاء الاصطناعي لا يمتلك وعيًا أو تجربة روحية، فلا يمكن اعتباره مصدرًا نهائيًا لاستنتاج الحقائق الدينية، بل يجب أن يكون مجرد أداة تحليلية.

4. تطوير برمجيات ذكاء اصطناعي تراعي الأبعاد الفلسفية والعقدية: من الضروري العمل على برمجة أنظمة ذكاء اصطناعي قادرة على تحليل القضايا العقدية مع مراعاة الخلفيات الثقافية والفكرية المختلفة.

5. إجراء المزيد من الدراسات حول الذكاء الاصطناعي والقضايا الفلسفية: ينبغي توجيه الأبحاث المستقبلية إلى دراسة العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والفكر الديني بشكل أعمق، مع التركيز على إمكانياته وحدوده في التعامل مع القضايا الميتافيزيقية.

ختامًا، يمكن القول إن الذكاء الاصطناعي قد أثبت كفاءة في تحليل الأنماط المنطقية والاستدلالات الفلسفية، لكنه يظل قاصرًا عن فهم الأبعاد الروحية والغيبية للإيمان. لذا، فإن دوره في الدراسات العقدية يجب أن يكون تكميليًا، بحيث يُستخدم كأداة تحليلية تساعد الباحثين في مجال الفلسفة والعقيدة، دون أن يكون مصدرًا للاستدلال في القضايا الإيمانية الكبرى.

المصادر والمراجع

بعد القرآن العظيم

1. ابن رشد، تهافت التهافت، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1971
2. أبو يعلى، المعتمد في أصول الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996
3. الآمدي، أبكار الأفكار، دار الجيل، بيروت، ط1، 2002، ج1، ص 45؛ البغدادي، الفرق بين الفرق، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1982
4. بودن، مارجريت أ. (2016). الذكاء الاصطناعي: طبيعته ومستقبله. مطبعة جامعة أكسفورد.
5. بوستروم، نيك (2014). الذكاء الفائق: المسارات، والمخاطر، والاستراتيجيات. مطبعة جامعة أكسفورد.
6. جودفيلو، إيان، بنجيو، يوشوا، كورفيل، آرون (2016). التعلم العميق. مطبعة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT Press).
7. الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ط1، 1995
8. دريفوس، هوبرت (1992). ما لا تزال الحواسيب عاجزة عن فعله: نقد للعقل الاصطناعي. مطبعة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT Press).
9. الرازي، المطالب العالية من العلم الإلهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1999
10. راسل، ستيوارت، نورفيغ، بيتر (2020). الذكاء الاصطناعي: منهج حديث (الطبعة الرابعة). بيرسون إديوكيشن.
11. سيرل، جون روجرز (1980). "العقول، والأدمغة، والبرامج". مجلة العلوم السلوكية والدماغية، المجلد 3، العدد 3، الصفحات 417–457.

12. الشافعي، الرسالة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004
13. العطاس، سيد محمد نقيب (1993). الإسلام والعلمانية. المعهد الدولي للفكر والحضارة الإسلامية.
14. كابلان، جيري (2016). الذكاء الاصطناعي: ما يحتاج الجميع إلى معرفته. مطبعة جامعة أكسفورد.
15. كروفورد، كيت (2021). أطلس الذكاء الاصطناعي: السلطة، والسياسة، والتكلفة الكوكبية للذكاء الاصطناعي. مطبعة جامعة ييل.
16. ميتشل، ميلاني (2019). الذكاء الاصطناعي: دليل للعقول المفكرة. دار فَرَر، شتراوس وجيرو.

Resources

1. Abu Yaʿla, Al-Muʿtamad fi Usul al-Din (The Reliable Book on the Principles of Religion), Dar al-Kutub al-ʿIlmiyya, Beirut, 1st edition, 1996.
2. Al-Amidi, Abkar al-Afkar (The Prime of Thoughts), Dar al-Jil, Beirut, 1st edition, 2002, Vol. 1, p. 45.
3. Al-Attas, S. M. N. (1993). Islam and secularism. International Institute of Islamic Thought and Civilization.
4. Al-Baghdadi, Al-Farq Bayn al-Firaq (The Difference Between the Sects), Dar al-Maʿrifa, Beirut, 3rd edition, 1982.
5. Al-Juwayni, Al-Irshad ila Qawaṭiʿ al-Adilla fi Usul al-Iʿtiqad (The Guide to the Decisive Proofs in the Principles of Belief), Maktabat Dar al-Baz, Mecca, 1st edition, 1995.
6. Al-Razi, Al-Matalib al-ʿAliya min al-ʿIlm al-Ilahi (The Sublime Aims in Divine Knowledge), Dar al-Kitab al-ʿArabi, Beirut, 1st edition, 1999.

7. Al-Shafiʿi, Al-Risala (The Epistle), Dar al-Kutub al-ʿIlmiyya, Beirut, 1st edition, 2004.
8. Boden, M. A. (2016). AI: Its nature and future. Oxford University Press.
9. Bostrom, N. (2014). Superintelligence: Paths, dangers, strategies. Oxford University Press.
10. Crawford, K. (2021). Atlas of AI: Power, politics, and the planetary costs of artificial intelligence. Yale University Press.
11. Dreyfus, H. (1992). What Computers Still Can't Do: A Critique of Artificial Reason. MIT Press.
12. Goodfellow, I., Bengio, Y., & Courville, A. (2016). Deep Learning. MIT Press.
13. Ibn Rushd, Tahafut al-Tahafut (The Incoherence of the Incoherence), ed. Sulaiman Dunya, Dar al-Maʿarif, Cairo, 2nd edition, 1971.
14. Kaplan, J. (2016). Artificial Intelligence: What everyone needs to know. Oxford University Press.
15. Mitchell, M. (2019). Artificial Intelligence: A guide for thinking humans. Farrar, Straus and Giroux.
16. Russell, S., & Norvig, P. (2020). Artificial Intelligence: A modern approach (4th ed.). Pearson Education.
17. Searle, J. R. (1980). "Minds, brains, and programs". Behavioral and Brain Sciences, 3(3), 417–457.